حفريات عين دارا

الموسم الاول - ١٩٥٦

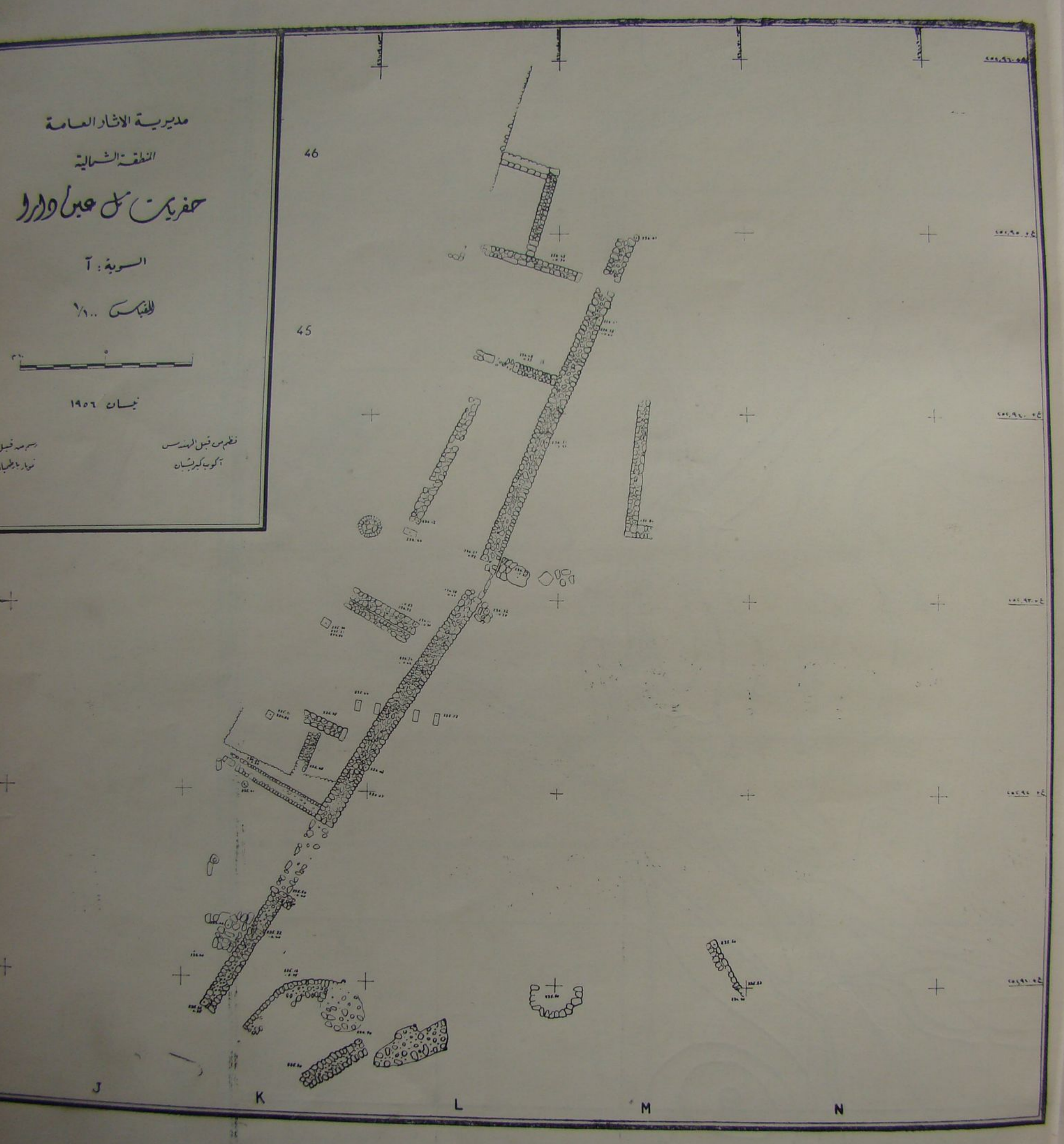
في شهر آذار من عام ١٩٥٤ بينما كان بعض الرعاة يرعون مواشيهم قرب تل عين دارا ويتتبعون أوكار ابن آوى ، عثروا في السفح الغربي للتل المذكور على حجر بازلتي كبير ، عرفوا فيه رأس حيوان ضخم . ولما بلغ الينا النبأ ، ذهبت الى المكان مع بعض موظفي مديرية آثار ومتاحف المنطقة الشمالية ، وقمنا بتوسيع القسم المحفور ، واظهار أكبر جزء ممكن من هذه القطعة ، فتبين لنا أنها على جانب من الأهمية عظيم ، وانها تمثل أسداً كبيراً ، على غرار تلك الأسود التي كان يعدها الأقدمون في مداخل قصورهم وقلاعهم ومعابدهم لتسبغ عليها الحماية اللازمة . ودلت كِسَرُ الفخار المبعثرة في سطح التل وجوانبه على أنه يضم في طياته مدنيات مختلفة ، تتراوح في قدمها بين العهود الشرقية القديمة ، والعهود الهلنستية والبيزنطية ، وعهود العصور المتوسطه . وعدتُ الى حلب وأنا موقن بأهمية التل وبضرورة اجراء حفريات فيه . ولما بعثت بتقريري الى المديرية العامة للآثار والمتاحف ، اهتمّتْ وأعضاء مجلس الإدارة بالأمر ، وطلبَتْ إلى الأستاذ موريس دونان ، الخبير الأثري المعروف ، أن يزور التل في جولته الى حلب . وتوجهت وإياه الى عين دارا في شهر كانون الأول من العام نفسه فطاف في أرجائه ، ودرس القطع الفخارية المبعثرة فيه ، وقرر بأن التل عظيم الأهمية ويقتضي اجراء حفريات فيه . وقد شاهدنا في السفح الشرقي للتل قطعة صغيرة من حجر البازلت ، كانت جزءاً من مخلب حيوان كبير ، وتعود لأسد آخر غير الأول .

وعلى هذا الأساس قررت المديرية العامة للآثار والمتاحف اجراء حفريات مبدئية في التل المذكور ، واستصدرت قراراً من وزارة المعارف بهذا الشأن بتاريخ ١٨/٢/١٩٥٦ ورقم ١٣ـا . وأولتني شرف رئاستها ، وعهدت بعضويتها الى كل من المهندس في مديرية الآثار السيد أغوب كيريشيان ، والملحق الفني السيد نوبار بارطميان ، ورئيس الورشة السيد وارطان اشجيان . كما عهدت الى العالم الأثري الكبير ، الخبير الفني لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف الاستاذ موريس دونان ، بتقديم الخبرة الفنية اللازمة .

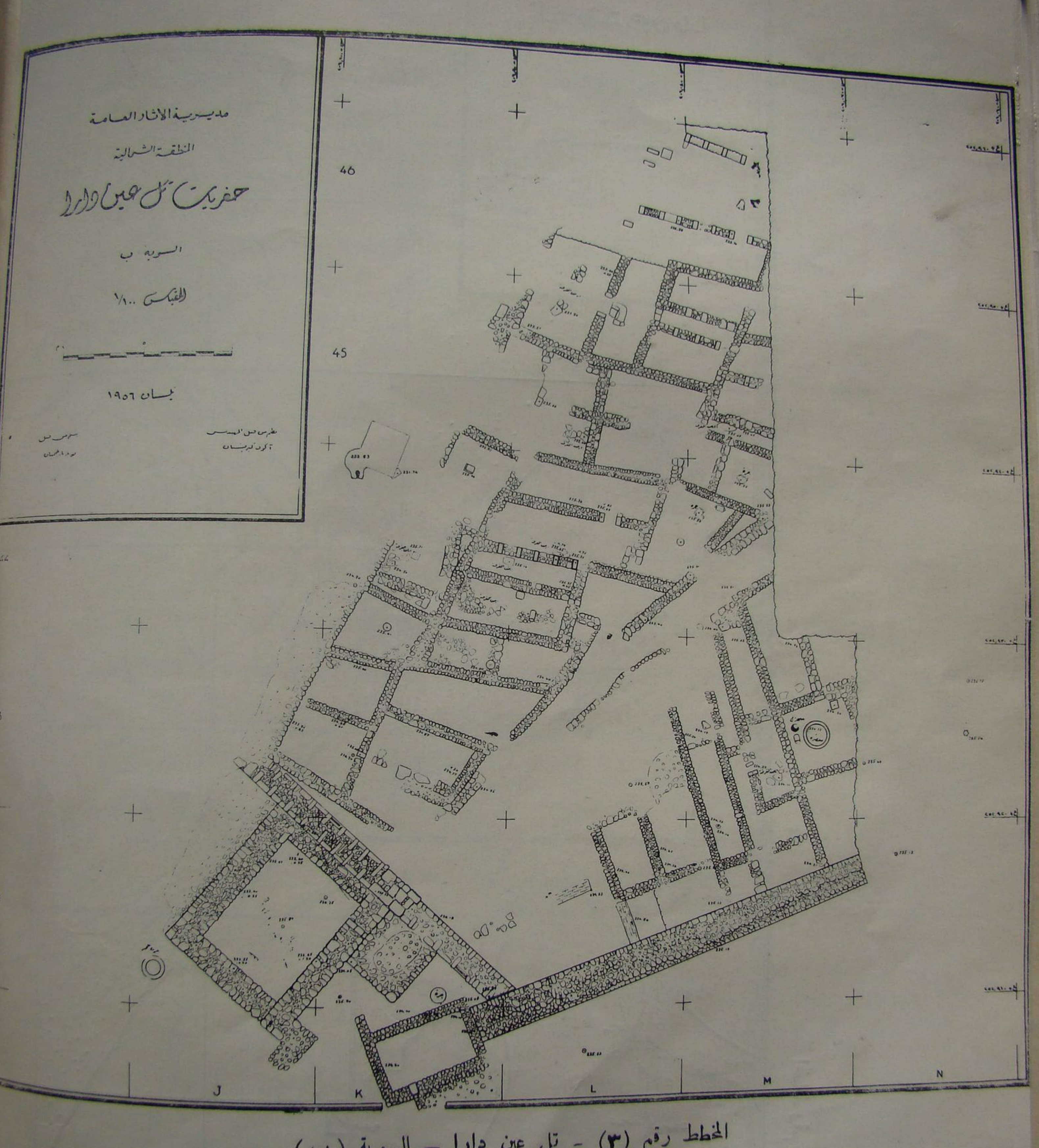
ولا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أسجل خالص شكري وعظيم تقديري لكل من السادة المدير العام للآثار والمتاحف ، الدكتور سليم عادل عبد الحق ، وأعضاء مجلس الأدارة ، لتأييدهم مشروع الحفريات ودعمهم اياه منذ البداية حتى بلغوا به مرحلة التنفيذ ، والاستاذ موريس دونان الذي كان لمعونته الفنية التي قدمها لنا أثناء الحفريات أكبر الأثر في تسيير دفة الاعمال ، والسيدة دونان قرينته ، التي تفضلت بالسهر على راحة أفراد البعثة وتقديم ما يمكن من المعونة في اصلاح بعض الآثار وتسجيلها ، والاستاذ مطيع المرابط ، مدير الشئون الادارية في مديرية الآثار العامة ، والاستاذ عدنان البني ، رئيس الحفريات في المديرية ، اللذين ساهما في تهيئة ما يلزم من الشكليات الادارية والمالية لإعداد قرار المشروع بالحفر واعداد الأدوات والمخصصات اللازمة ، ومدير منطقة عفرين السيد موسى نصير ، وقائد الشرطة فيها السيد محمد سموني ، الذين قدما للبعثة كل مؤازرة وعون ، وبلغ من اهتمامها الكلي للحفريات والمكتشفات الأثرية انهما زارا موقع الحفريات عدة مرات كلما سنحت لهما الفرصة للاطلاع على المكتشفات ، وأعضاء البعثة المشار اليهم السادة المهندس كيريشيان وبارطاميان واشجيان لما أظهروه من نشاط ومقدرة كان لهما الأثر الأكبر في نجاح أعمالنا . وأخيراً السادة صبحي الصواف الملحق الفني ، وسمير طالب المصور ، وحسن قاسم المرمم ، وعلي سماقية الرسام ، في مديرية آثار المنطقة الشمالية ، لما قاموا به من مؤازرة ومساهمة في اعداد نتائج هذه الحفريات من ترتيب واشراف على الآثار ، وتصويرها ، وترميمها ، ورسم مخططات الحفريات .

فالى هؤلاء السادة الزملاء والاخوان أتقدم بشكري الجزيل .

★ ★ ★ ★



المخطط رقم (٢) ـ تل عين دارا ـ السوية (آ)



المخطط رقم (٣) - تل عين دارا ـ السوية (ب)

يقع تل عين دارا في الجهة الشمالية الغربية من مدينة حلب ، على بعد ثمانية وستين كيلو متراً منها ، وفي جنوبي بلدة عفرين ، على بعد ثمانية كيلو مترات منها (المخطط رقم ١) . ويمكن للقادم الى هذا التل عن طريق عفرين أن يشاهده على مبعدة منها ، ذلك لأنه يقع في وسط سهل فسيح كبير خصيب ، غني بالمياه والينابيع الغزيرة التي ترويه ، وفيه ينساب نهر عفرين ، الذي يمر بالقرب من السفح الغربي للتل ، متجهاً نحو الجنوب الغربي لينتهي في بحيرة العمق . وتحيط بهذا السهل سلسلتان من الجبال ، جبل الأكراد في الغرب وفي الشمال الغربي وجبل سمعان في الشرق وفي الجنوب الشرقي . وتدل الظواهر على أن هذا السهل وهذا الموقع كانت له أهمية كبرى عبر العصور التاريخية القديمة والمتوسطة ، لوقوعه على مفترق الطرق الستراتيجية ، بين الشمال والجنوب أو بين الشمال والشرق (١) ولوفرة خيرات المنطقة ، وامكانية استغلال هذه السهول الخصبة ، أيام السلم . لذلك فقد أنشئت المدن والقلاع في هذه المنطقة وكان بينها تل عين دارا ، الذي أظهرت الحفريات أهميته الكبرى من الناحية الدفاعية . أما قرية عين دارا نفسها فتقع على مرتفع صخري يبعد حوالي ٨٠٠ متراً عن التل ، ولا يستبعد أنها كانت قلعة دفاعية في العهود الوسطى أو العهود القديمة ، وذلك بسبب وجود الأحجار الكبيرة المنحوتة القديمة في القرية والتي أعاد السكان استعمالها في أبنيتهم الحالية .

ويتألف تل عين دارا من جزئين رئيسيين / المخطط رقم (١) / ، أحدهما منخفض ، يرتفع قليلاً عن مجرى نهر عفرين المجاور ، وتبلغ مساحته (١١٫٥) هكتارا ، بطول وسطي قدره (٢٨٠) مترا وعرض وسطي (١٨٠) مترا ، وتتألف منه المدينة القديمة ، تحيط بها أسوارها وأبوابها التي أمكننا متابعة خط مسيرها الظاهر في أكثر أجزائها ، كما امكننا تحديد موقع الباب الشمالي للمدينة ، بعد ملاحظة انخفاض موقعه بالنسبة للسور المجاور له ؛ وامكننا أيضاً تحديد موقع باب آخر للمدينة في الجهة الشرقية . وأما الجزء الثاني المرتفع فهو يقع في الجهة الجنوبية الغربية ، بارتفاع (٢٤٠) متراً عن سطح البحر أو (٤٠) متراً عن سطح مجرى نهر عفرين المجاور / الصورة رقم (١) / وتبلغ مساحة سطح قمته حوالي (٥٧٠٠) متراً مربعاً ، بطول وسطي (١٢٥) متراً وعرض وسطي (٦٠) متراً . وهذا الجزء هو ولا شك قلعة المدينة واكروبولها ، وفيه اكتشف الأسد البازلتي الكبير المشار اليه في مطلع هذا التقرير والسور البازلتي الشمالي المنقوش بالأسود المتتابعة ، الذي سنتحدث عنه فيما بعد ، وفيه نتوقع أيضاً اكتشاف المنشئات

(١) راجع من أجل اهمية هذه المنطقة كطريق ستراتيجي وتجاري في العهود القديمة والمتوسطة كتاب دوسو صفحة ٤٣٤ .
R. Dussau, Topogrphie Historique de la Syrie . P 434

الرسمية العامة للمدينة كالقصور والمعابد والأسوار والأبراج المحصنة وغيرها . وقد تركزت أعمال حفرياتنا في هذا العام في التل الثاني المرتفع ، باستثناء عملية سبر بسيطة أجريت في القسم الشمالي من التل المنخفض حيث عثرنا على جزء من سور المدينة ومدخلها الشمالي المشار اليه .

بدأت الحفريات في الأيام الأخيرة من شهر آذار (١٩٥٦) ، في السفح الغربي من التل المرتفع ، في الرقعة التي وجد فيها الأسد . فكشفت لنا العمليات الأولى عن نوع المدنيات التي تعاقبت فوق بعضها ، والتي يضمها جوف التل في الأقسام العلوية منه / الصورة رقم (٢) / . وقد تحقق لنا أن السوية الارامية التي ينتمي اليها الأسد المكتشف ، يعلوها عدد آخر من السويات العائدة لمدنيات أخرى كالفارسية والبيزنطية والعربية . ولا ندري ما هي السويات والمدنيات الموجودة تحت السوية الآرامية والتي تتعداها في القدم . لذلك كان لزاماً علينا والحالة هذه أن ننهج الطريقة المعروفة في الحفريات ، وهي كشف كل سوية على حده وأخذ ما يلزم لها من المخططات والصور الفوتوغرافية ، والقيام بما يجب من الدراسات العلمية ، مبتدئين بالسوية العلوية ثم بالتي تليها مباشرة تحتها الى أن نأتي على آخرها . وهكذا بدأت عمليات الحفر في ذروة التل ، واضطررنا الى الاقتصار على القسم الجنوبي الغربي منه بمساحة (١٣٠٠) متراً مربعاً فقط من أصل مساحة (٥٧٠٠) م٢ ، نظراً لضآلة المخصصات ، ولنتمكن من الهبوط الى السويات الأخرى تحتها ، وبذلك تتم الغاية التي اردناها من عملية السبر هذه لمعرفة التل وما يحويه من مدنيات ، تمهيداً لإجراء عمليات الحفر على نطاق واسع في سطح التل بكامله .

فأما في السوية العليا ، وهي ما سنطلق عليه اسم السوية (آ) ، / المخطط رقم (٢) / . فقد وجدنا بعض المنشئات البسيطة التي سكنت في العهود العربية ، حيث صرف النظر عن استخدامها قاعدة حربية ، ولم يعد لهذه المدينة شأن يذكر إذا قورنت بالعهود التي سبقتها ، وأصبحت مركزاً عادياً للسكن المحلي فقط . وتتألف الأبنية التي عثرنا عليها في هذه السوية من جدران عادية بنيت بطريقة بسيطة لا عناية فيها . ولم نعثر على أية أرضية للغرف أو الممرات في هذه السوية ، سواء كانت من الزريقة أو من البلاط المرصوف . إلا أن الأمر الذي يلفت الأنظار هو عثورنا على جدار طويل بعلو وسطي (٤٥) س.م. وعرض وسطي يقرب من المتر وطول

كبير يبلغ (٤٧) متراً باتجاه الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، مع انكسار في وسطه لتحويل بسيط في اتجاهه / المخطط رقم (٢) المذكور /. وقد بنيت أحجاره بشكل عادي ، ولم نعثر على أية أسس تحته . ويصعب علينا في الوقت الحاضر اعطاء أي مدلول لوجود هذا الجدار الطويل ولا يمكن أن يعتبر سوراً دفاعياً للمدينة بسبب ضعف بنائه وعدم وجود أساس له وابتعاده مسافة (٧) أمتار وسطياً عن مبدأ السفح الغربي للتل ، حيث وجدت بقايا السور الأساسي للقلعة الذي سنتحدث عنه فيما بعد والذي يعود الى السويات السفلى . ولعل الحفريات المقبلة التي ستجري في بقية سطح التل في السوية نفسها تكشف لنا عن حقيقة هذا الجدار وتلقي ضوءاً على معلوماتنا فيما يتعلق بهذه السوية .

وأما السوية التالية الواقعة تحتها ، والتي سنطلق عليها اسم السوية (ب) ، / المخطط رقم (٣) / ، فقد أمكننا أن نجد فيها معالم الجدران والغرف المختلفة بصورة أوضح من سابقتها ، إلا أنه مع ذلك يصعب الربط بينها في الوقت الحاضر ، بسبب قلة ارتفاع هذه الجدران التي لم تكن إلا جزءاً من أقسامها السفلية فقط ، أو في كثير من الاحيان ، الأقسام العائدة للاساسات / الصورتان الفوتوغرافيتان رقم (٣) ورقم (٤) / .

ومما يلفت الانظار في هذه السوية (ب) ، سور المدينة العريض الذي كان يحيط بالأقسام التي تم الكشف عنها في القسم الجنوبي الغربي من التل . وقد أمكننا ، قبل البدء بأعمال الحفريات ، تخمين وجود مدخل القلعة المحصن ، ببرجيه الدفاعيين ، في أقصى الجنوب الغربي ، كما هو ظاهر في / المخطط رقم (١) المشار اليه / ، حيث يتبين وجود المرتفعين . وفي الواقع فقد كشفت لنا الحفريات عن وجود ثلاثة أقسام من السور ، تحيط بالقلعة ، القسم الأول ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية / راجع مخطط السوية (ب) رقم (٣) المذكور / والقسم الثاني ويقع في الجهة الجنوبية الغربية ، والقسم الثالث ويقع في الجهة الغربية .

فأما القسم الأول من السور الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية ، فهو أطول هذه الأقسام الثلاثة وأجودها اتقانا في البناء . / الصورة رقم (٥) / . ويبلغ طول ما اكتشف منه حتى الآن حوالى (٢٢) متراً ، ويحتمل أن نعثر على بقية امتداده عندما نستأنف الحفريات في جهته الشرقية . كما يتراوح عرضه بين ١,٧٠ م و ٢,٠٠ م . ويتميز هذا السور باتقان بنائه

ونحت أحجاره نحتاً جيداً ، وان كانت قد رصفت بشكل غير منتظم في بعض الأحيان من حيث تسلسل كبرها أو من حيث ارتفاع سوقاتها . ولا تزال آثار طلاء الزريقة باقية وظاهرة في بعض أقسامه الداخلية . وقد وجدنا أن هذا القسم من السور ينتهي في طرفه الغربي بجد فاصل يدل على انتهائه ، أو على وجود مدخل أو باب للقلعة في هذا الطرف من السور . وبعد متابعة الحفر في الاتجاه نفسه نحو الغرب ، لم نعثر على أية تتمة للسور ولكننا وجدنا بقايا أساس مدخل أو برج صغير مربع الشكل تقريبا ، طول ضلعه (٥،٥٠) متراً / مخطط السوية (ب) رقم (٣) / . فهل كان هذا المكان مدخلاً للقلعة يؤدي اليها بعد أن يستدير الداخل اليها عمودياً نحو اليمين على الطريقة المعروفة في تحصين مداخل القلاع الأثرية ؟ لن نستطيع الاجابة على هذا السؤال قبل المضي في الحفريات على مساحة اكبر حول هذا المكان في الموسم القادم .

وأما القسم الثاني من السور ، الواقع في الجهة الجنوبية الغربية في الوسط / الصورة رقم (٦) / ، فهو أقل اتقانا من حيث البناء من القسم الأول من السور المذكور آنفاً الا أن أحجاره أكبر ، ويتناوب رصفها طولاً وعرضاً لتزيد في تماسكها على الطريقة المعروفة المسماة بالفرنسية (Boutisse et parpaing) ويتقدم هذا القسم من السور في جهته الجنوبية الغربية بناء دفاعي مستطيل الشكل بطول (٩) أمتار وعرض (٨) أمتار / الصورة رقم (٧) / . والأقسام المكتشفة في هذا البرج ينخفض مستواها بمقدار يقارب المتر بالنسبة لقسم السور الملاصق ، ويقارب المتر والنصف أو المترين بالنسبة للاقسام الأخرى .

وأما القسم الثالث من السور ، الواقع في الجهة الغربية فهو متهدم في اكثر أجزائه ، ولم يبق منه سوى الجانب الداخلي منه فقط .

هذا وقد أمكننا العثور على المستوى الاصلي لارضية كثير من الغرف والممرات الواقعة داخل السور والعائدة للسوية (ب) ، فبعضها يتألف من بلاط حجري مرصوف ، / مخطط السوية (ب) رقم (٣) المنطقة ل ٤٣ مثلا / ، وبعضها مغطى بطبقة من الزريقة / المخطط نفسه ، المنطقة م ٤٥ / . ويتراوح ارتفاع سويتها عن سطح البحر بين ٩٠ و ٢٣٤ م و ٢٠ و ٢٣٥ م .



الصورة رقم (١) — عين دارا . منظر عام للتل

الصورة رقم (٢) — عين دارا . السفح الغربي للتل

الصورة رقم (٣) ـ منظر للسوية (ب)

الصورة رقم (٤) ـ منظر للسوية (ب)

الصورة رقم (٥) ـ السور الكبير الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية من التل . السوية (ب)

الصورة رقم (٦) ـ السوية (ب) السور في الجهة الجنوبية الغربية

الصورة رقم (٧) – البرج الدفاعي المستطيل في الجهة الجنوبية من التل . السوية (ب)

الصورة رقم (٨) – بعض الاواني الفخارية ذات اللون البني اللماع . السوية (ب)



الصورة رقم (٩) – اواني فخارية مختلفة وجدت في السوية (ب)



الصورة رقم (١٠) – اوان فخارية من الترابة الحمراء ، وجدت في السوية (ب)



الصورة رقم (١١) ـ شربات فخارية من الترابة الرمادية السوداء وجدت في السوية (ب)

الصورة رقم (١٢) ـ جرة فخارية كبيرة وجدت في السوية (ب)

الصورة رقم (١٣) سُرج فخارية عربية من السوية (ب)

الصورة رقم (١٤) – اغطية جرار من الفخار ، السوية (ب)



الصورة رقم (١٥) – كرات عصا لراعي بينها ختم

الصورة رقم (١٦) – شمعدان ومقص نحاسيان . السوية (ب)

وقد وجدنا في عدد من الاماكن في هذه السوية - المنطقة ك ل ٤٤ ، والمنطقة م ٤٢ مثلا - آثار الحريق ظاهرة وآثار الحبوب المحروقة من قمح وعدس وغيرها ، مما يدل على ان المدينة العائدة للسوية (ب) قد أصيبت في آخر أيامها بحريق كبير نتج عن غزو أو حرب أو زلزال أو غير ذلك فوضع نهاية لحياتها .

وأما الآثار المنقولة التي عثر عليها في هذه السوية ، فهي تعود بمجموعها الى العهود العربية أو البيزنطية . فمنها الشربات الفخارية المدهونة باللون البني اللماع (الصورة رقم ٨) ، وهي ذات بطن منتفخة ورقبة قصيرة تعلوها فوهة ، مضغوطة في وسطها لتشكل منقاراً تصب منه المياه ، ويعود تاريخها دون شك الى العهود العربية الاسلامية . ومنها الجرار والشربات والاواني الفخارية المختلفة (الصورة رقم ٩) ورقم (١٠) ورقم (١١) بعضها مصنوع من الترابة الحمراء ، وآخر من الترابة الرمادية السوداء ، وبعضها بفوهة واسعة وأخرى بفوهة ضيقة ، وبعضها مزود بعروتين وأخرى بعروة واحدة . وقد زين القسم العلوي من العروى بخيط فخاري الصق بها على شكل حلزوني يشبه حرف ∽ أو m .

ومنها الجرار الفخارية الكبيرة (الصورة رقم ١٢) ، ومنها السرج الفخارية المستديرة ذات الطراز العربي (الصورة رقم ١٣) ، صنع بعضها من الترابة الحمراء ودهن بعضها الآخر بطلاء أخضر لماع ، ومنها أغطية الجرار المستديرة ذات العروة الواحدة المصنوعة من الترابة الرمادية أو الحمراء ، والمزينة بخطوط دائرية متمركزة في وسطها (الصورة رقم ١٤) ، ومنها كرات حجرية أو فخارية لعصا الراعي (بنود) ، (الصورة رقم ١٥) ، حيث نجد بينها ختماً من الحجر الرمادي السوداوي على شكل جمالون ، مثقوب في وسطه بثقب يخترقه للتعليق ، نقش على قاعدته المستوية خطوط تنتهي بالتفاف حلزوني ، يبلغ طول قاعدته ٠،٠٤١ م وعرضها ٠،٠٣٩ م ، وارتفاع الختم ٠،٠١٥ م . ولا شك أنه لاينتمي الى هذه السوية (ب) بل يرجع في تاريخه الى العهود الشرقية القديمة خـــلال الالف الثاني قبل الميلاد . ومن الآثار المكتشفة في هذه السوية شمعدان نحاسي ومقص نحاسي عربيان (الصورة رقم ١٦) ، وهاون نحاسي مع عدد من الساحقات (الصورة رقم (١٧) وعدد من الأساور والفناجين النحاسية (الصورة رقم (١٨) ، وعدد من الصلبان النحاسية وأدوات أخرى متفرقة (الصورة

رقم ١٩) ، وأخيراً بضع عشرات من العملة النحاسية البيزنطية (الصورة رقم ٢٠) ، ولم نعثر على أية قطعة من النقود العربية .

هذا ويتبين لنا من طراز بناء الجدران والاسوار التي مر ذكرها ، ومن مجموعة القطع الأثرية المكتشفة التي أشرنا اليها ، أن هذه السوية (ب) ترجع الى عهود ربما كانت أقدم من العهود العربية أي إلى العهود البيزنطية أو ماقبلهـا . إلا أن الحياة على مايظهر استمرت فيها خلال العهود العربية أيضاً بدليل القطع الفخارية العربية والسرج الفخارية العربية وغيرهـا التي أتينا على ذكرها . ونميل الى الاعتقاد بأن الأسوار التي تحدثنا عنهـا والواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من التل ترجع إلى عهود مختلفة في القدم منها البيزنطية ومنها الهلنستية ، ولكنها كانت تستعمل أيضاً في العهود التي تليها ، بعد أن يجري اصلاحهـا واجراء بعض التعديلات عليها وانشاء مداخل وأبراج اضافية حسبما تقتضيه ضرورة الدفاع ، إلى أن سكنت هـذه المدينة أخيراً في العهود العربية فترك لنا سكانها هذه المخلفات التي دلتنا على إقامتهم فيها بنطاق محدود وخلال فترة معينة .

هذا ورغبة منا في الوصول إلى الطبقة الأرامية التي ينتمي اليها الأسد البازلتي المكتشف ، ومعرفة بعض التفاصيل عن المدنيات المتعاقبة بين السوية (ب) والسوية الأرامية ، فقد واصلنا الحفر في المنطقة التي وجد فيها الأسد ، وحصرنا عملنـا في الآونة الاخيرة من الحفريات في المنطقتين (ك ٤٤) و (ك ٤٥) ، وزدنا عدد العمال المشتغلين في هذه البقعة للحصول على النتائج المرتقبه . وهكذا هبطنـا الى السويه التالية (ج) فعثرنا على بعض الجدران التي لايمكن ربط بعضها ببعض ، بسبب صغر الرقعه المحفورة . ولهذا السبب أرجأنا نشر مخطط هذه السوية وما تحتها من السويات إلى مابعد موسم الحفريات الثاني . وقد وجدنا أرضية بعض الغرف من البلاط الحجري ، بارتفاع (٢٣٤٫٣٤) عن سطح البحر . وأما الآثار التي عثرنا عليها فقد دلت على أن هذه السوية ترجـع الى العهد الهلنستي . فوجدنا عدداً من السرج الفخارية من الطراز الهلنستي أو البيزنطي (الصورة رقم ٢١) ، وبعض الأدوات الفخارية الملساء من صحون وآنية ، بعضها ملون بالأسود وآخر ملون بالأحمر (الصورة رقم ٢٢) ، وبعض القطع الفخارية المختلفة الأخرى من الطراز الهلنستي .

إلا أن الاكتشاف الهام في هذه السوية هو عثورنا على جرة صغيرة من الفخـار ذي

التوابة الحمراء لايتجاوز ارتفاعها ١٢ س٠م وقطرها ١١،٥ س٠م ، مملوءة بالنقود الفضية ، في مكان لايبعد كثيراً عن مكان اكتشاف الأسد ، وفي الرقعة نفسها ، أي في المنطقة (ك ٤٤) ، وبارتفاع ٢٣٤،٢٠ عن سطح البحر . وكم كانت فرحة رئيس الورشة والعمال عظيمة عندما وقعت عينهم على هذه الجرة في صباح ١٨ نيسان ١٩٥٦ ، ودلهم ثقلها على أنها تحوي نقوداً ، فصاحوا مبتهجين كنز ! كنز ! جرة ملأى بالذهب . وبعد أن أخرجنا محتوياتها ، تبين لنا انها تحتوي على (١٠٢) قطعة من النقود الفضية ، جميعها بحالة جيدة جداً . الا أنها كانت مكسوة بطبقة من صدأ الفضة ، فكان علينا معالجتها بحمض النمل المخفف لازالة هذا الصدأ . وتمت عملية التنظيف بنجاح تام وأصبحت معدة للعرض والدراسة (الصورة رقم ٢٣) وقد نقش عليها وجه بعض هذه القطع بشكل نافر رأس الالهة تايكي يعلوه رمز أسوار انطاكية . ونقش على البعض الآخر رأس الملك السلوقي الذي ضربت في عهده هذه العملة يتوجه اكليل من الغار . وفي الوجه الثاني نقشت صورة الاله زوس نيسفور Zeus Nicéphore وهو متربع على عرشه او الاله زوس اورانيوس Zeus Ouranios الواقف وجسمه نصف عار ، أو الالهة اثينا نيسفور Athéna Nicéphore الواقفة والمستندة الى رمحها . وتدل الدراسة المبدئية لهذه النقود انها ضربت في عهود متقاربة تتراوح بين نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الاول قبل الميلاد في مدن انطاكية والسويدية وغيرها ، ايام الملوك السلوقيين السوريين :

ديميتريوس الثاني نيكاتور (١٢٩ — ١٢٥ ق٠م٠)

وانطيوخس الثاني (١٢١ — ٩٦ ق٠م٠)

وانطيوخس التاسع (١١٦ — ٩٥ ق٠م٠)

وفيليب الاول فيلاد لفوس (٩٢ — ٨٣ ق٠م٠)

ولا شك أن اكتشاف هذه العملة يلقي ضوءاً ساطعاً على تاريخ هذه السوية (ج) ، ويعطينا معلومات هامة جداً تساعدنا على دراستها عندما يتم الكشف عليها في جميع رقاعها .

ثم استمرت حفرياتنا في النطاق الصغير نفسه ، أي في جزء من المنطقتين (ك ٤٤) و (ك ٤٥)، فهبطنا الى السوية (د) وعثرنا على أرضية بعض الغرف بارتفاع ٢٣٢،٧٥ م عن سطح البحر ،

وتبين لنا من الآثار المكتشفة فيها أنها ترجع الى العهود الفارسية . وقد وجدنا عدداً من الدمى الفخارية لحيوانات ذات أربع قوائم أو لاشخاص يركبون جواداً على طراز تلك الدمى التي تشاهد كثيراً في سورية الشمالية من العهد الفارسي كما عثرنا على ختم أو تميمة من الحجر البلوري الابيض الدخاني ، على شكل مخروطي بقاعدة محدبة قليلاً ، ومثقوب في أعلاه للتعليق والحمل ولا تزال بقايا السلك المعدني في داخل الثقب ظاهرة للعيان . ويبلغ ارتفاع الختم ١و٢ س.م وقطر قاعدته ١و٤ س.م . وقد نقش على سطح هذه القاعدة حفراً (الصورة رقم ٢٤) ، قرص الشمس المجنح على الطريقة الفارسية (مازادا Mazad) ، يمتطيه في اعلاه شخصان ، وكانه قارب يسبح في الهواء . وفي أسفله حزمة من أوراق اللوتس المعقودة ، وفوقها نحو اليمين نجمة مشعة ترمز الى الآلهة عشتار .

وأخيراً هبطنا الى السوية (٥) وهي السوية الأرامية التي يرجع اليها الاسد . وكما كانت دهشتنا عظيمة حينما عثرنا على عدد كبير من الاحجار البازالتية الضخمة المنتشرة في هذه السوية خلف الاسد الا أن هذه الاقسام التي ظهرت لنا لم تكن كافية لتكشف لنا عن ماهية هذه القطع التي لاشك أنها هامة جداً . ولم نتمكن من قلب وجهها السفلي الى الأعلى لنتبينها وذلك بسبب انتهاء مدة الحفريات المقررة ، فأرجأنا العمل الى موسم الحفريات القادم بعد ان أعدنا تغطيتها بالتراب للمحافظة عليها ، وقد ظهر بين الأحجار المذكورة قطعة بازالتية متطاولة ، نقش عليها افريز بشكل ضفيرة على الطريقة الحثية المعروفة (الصوره رقم ٢٥) .

ويعود الى هذه السوية الأسد الكبير المشار اليه آنفاً والذي كان حافزاً لنا لإجراء الحفريات / الصورتان رقم (٢٦) و (٢٧) / . وقد وجد هذا الأسد مرتمياً على جانبه المنقوش في سفح التل الغربي وممتداً على المنطقتين (ك ٤٤) و (ك ٤٥) ، بارتفاع ٧٤و٢٣١ م فوق سطح البحر . ولا شك أنه كان ، مع اسد آخر يماثله ، يحرس مدخلاً من مداخل القلعة أو قصورها . ولكن للأسف لم نعثر على زميله الأسد الثاني ، برغم متابعتنا الحفر في الجهة المقابلة منه على افتراض

أن الأسد الثاني مفقود أو أن الأول غير واقع في مكانه الأصلي . ويقتضي انتظار الحفريات المقبلة لنعرف الوضع الحقيقي للأسد ، ولعلها تكشف لنا عن زميله الأسد الآخر . ولقد كان علينا بعد ازاحة التراب عن هذا الاسد أن نعمد الى تجليسه على قاعدته لنتمكن من رؤية جانبه المنقوش . وتمت العملية بنجاح كبير رغم ثقله الذي يبلغ (١٢) طونا ، وذلك بفضل مهندس البعثة ورئيس ورشتها . وكم كانت دهشتنا وفرحتنا عظيمتين حين وقف الاسد واستيقظ بعد رقاد طويل . فاذا هو كامل جيد الحفظ لا ينقصه شيء سوى قطعة صغيره من أذنه اليسرى .

ويمكن أن يقال عنه أنه من الأسود الضخمة الكبرى المكتشفة من هذا النوع ، وهو ولا شك من أجملها وأعظمها على الاطلاق من الناحيتين الفنية والتاريخية ، ويعتبر وحيداً لا مثيل له بين الاسود المكتشفة في المواقع الأثرية أو الموجودة في المتاحف العالمية وتبلغ طول قاعدته قرابة ٢،٥٠ م طولاً و ٠،٨٠ م عرضاً . كما يبلغ طوله بما في ذلك الرأس قرابة ٣،٣٠ م ، وارتفاعه من أسفل القاعدة إلى أعلى الرأس ٢،٧٠ م . وقد نحت القسم الجانبي منه أي الجسم والقوائم بشكل نافر ، وعلى الطريقة المعروفة حينئذ في الأسود التي كانت توضع على جانبي المداخل والابواب . وأما قسمه الأمامي ، أي مقدمة الصدر والرأس فقد نحت بشكل حر طليق ليبرز أمام الناظر جميع جهاته الأمامية ، خلافاً لقسمه الجانبي الخلفي وقسمه العلوي فقد تركا بغير نحت ليدمج في بناء المدخل الذي أعد له . وتلاحظ ثلاثة ثقوب صغيرة في القسم العلوي غير المنحوت لتساعد على نقله وتحريكه وتثبيته . والأسد بشكل عام منحوت نحتاً جيداً ، وقد نجح الفنان في تحقيق النسب الحقيقية لأجزاء الأسد وأعضائه فجاء أقرب ما يكون للواقع . وتظهر عليه علائم الحياة مع القوة والبأس في جميع قسماته وملامحه كما أرادها له النحات . والناظر الى الأسد من الأمام يجده بحالة الوقوف كأنه يهدد الداخل الى المكان ، وقد فغر فاه ، وبرز منه لسانه العريض ممتداً الى الأمام لينحدر أمام شفته السفلى ، وظهر عليه خط طولاني في وسطه يقسمه الى منطقتين . كما ظهر ناباه الكبيران في كل جانب من الفم وحولهما أسنانه الصغيرة . ويعلو فمه خمسة أزواج من الخطوط للدلالة على الشاربين ، وفوقهما أنف مستدير

في قاعدته ، ومزين في وسطه بثلاثة أزواج من الخطوط النافرة . ويجاور الأنف عينان متطاولتان غير مجوفتين ، يعلوهما جبين منقوش بمثلثين محفورين ، وربما كانا للدلالة على تجاعيد الجبهة وشارة لبأس الأسد . وفوق الرأس أذنان مستديرتان ، تختلفان في شكلهما عن آذان الأسود المعروفة يزينهما في اطارهما خطوط صغيرة متوازية . ولكن الأذن اليسرى مكسورة وناقصة كما أشرنا . أما لبدة الأسد ، فقد امتدت في أعلى الرأس وحول العنق ومقدمة الصدر . وتتألف من أشكال صغيرة مستديرة مدلاة ومعقوفة في نهايتها ، وقد حصرت بخط منحن نافر يفصل اللبدة عن جسم الأسد الخالي من الشعر . كما يشاهد خط نافر آخر على شكل زاوية حادة يقع في أسفل اللبدة ، حول قائمتيه الأماميتين ، ويدور ليلتف حول قائمتيه الخلفيتين . وهذه القوائم الأربعة تنتصب فوق قاعدة قليلة السمك ، وتظهر في نهايتها مخالبه وقد برزت من كل منها أظافره الأربعة الحادة المعقوفة المنتهية برأس رفيع . أما ذيل الأسد فقد برز من خلفه ليدخل بين قائمتيه الخلفيتين ، ويبرز من جديد تحت بطنه بنهاية معقوفة كروية .

والأسد في شكله العام جميل المنظر وذو خصر رفيع بالنسبة لمقدمة صدره المنتفخة . ونجد فيه خصائص مختلفة ، بعضها مستمد من الفن الحثي وآخر من الفن الآشوري . فطراز القوائم والتفاف الذيل تحت البطن ، وعدد القوائم الأربعة (القائمة الخامسة غير موجودة كما هو الحال في الأسود الآشورية) ، وامتداد اللسان فوق الشفة ، كل هذا من خصائص الفن الحثي . إلا أن جسمه بوجه عام ، ولا سيما قسمه الخلفي يقارب الشكل المعروف في الأسود الآشورية . ونستطيع أن ننسب أسدنا هذا الى العهود الحثية السورية ، في القرنين التاسع أو الثامن قبل الميلاد . وكم كنا نأمل أن نجد بعض الكتابات على جسم هذا الأسد أو جوانبه ، كما هو الحال في أسد تل أحمر مثلاً (١) . ولكن أملنا خاب ، ونفتقر الآن الى نص خطي مكتوب تكشفه لنا الحفريات المقبلة لتلقي مزيداً من الضوء على معلوماتنا عن هذا الأسد وعن اسم المدينة التي كان يزينها وعن نوع حضارتها .

---

(١) راجع كتاب تورو دانجان تل برسيب T. Dangin, Duncnd : Till Barsib, texte, P. 143, fig. 41

هذا ورغبة منا في الحصول على المزيد من المعلومات عن هذه المدينة القديمة العائدة للسوية الأرامية ، وعن أسوارها المحيطة بها ، فقد عمدنا إلى اجراء حفريات في القسم العلوي من السفح الشمالي للتل ، وخصصنا له زمرة من العمال مستقلة أثناء الحفريات ، فظهر لنا جزء جديد من سور هذه المدينة ، زاد من يقيننا في أهمية هذه السوية الارامية وما لعبته من دور كبير في تاريخنا القديم ، ويتألف هذا السور الذي يبلغ طوله حوالي (١٧) متراً ، من ثمانية أحجار كبيرة ضخمية من البازالت (Orthostates) (الصور رقم ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١) ، ويتراوح طول كل منها بين ١٫٢٥ م و ١٫٦٠ متر وارتفاعها حوالي ١٫٣٠ م ، رصفت كل منها إلى جانب الأخرى ، باستثناء فراغ يعادل ثلاثة أمتار طولاً ، يفصل بين الحجرة الثالثة والرابعة اعتباراً من اليمين ، ويتسع لحجرتين أخريين من هـذا النوع ، فقدتا لأسباب غير معلومه ، وتمتد جميع هذه الأحجار الضخمة فوق قاعدة طويلة من الأحجار المنحوتة نحتاً جيداً بارتفاع يقارب ٠٫٤٠ م ، وقد نقش بصورة نافرة على كل حجر من الأحجـار البازالتية الضخمة ، أسد ، يتجه أحدهما نحو اليمين والثاني نحو اليسار بالتناوب ، بصورة يتقابل معها كل أسدين وجهاً لوجه ثم ذيلاً لذيل ، وهذا الترتيب في التسلسل يتفق والنقص الملحوظ في حجرين من الأحجار الضخمة في وسط هذا السور . ومما يؤسف له أن هذه الأحجار في حالة متفتتة جداً يرثى لها ، والظاهر أنها أصيبت بحريق كبير أدى الى هذه النتيجة ، ومن المعروف أن الحرارة المرتفعة تؤثر في حجـر البازالت وتجعله عرضة للتفتت . وبالرغم من ذلك فانه يمكننا ملاحظة المخالب الأربعة لغالبية هذه الأسود مع أظافرها ذات النهاية المعقوفة إلى الداخل وذات النهاية الرفيعة كما هو الحال في الأسد البازالتي الكبير المكتشف في الجهة الغربية من التل ولا شك أن المكانين يعودان لنفس السوية ولنفس التاريخ .

وفي أسفل هذا السور الحجري ، وعلى سفح التل من الجهة نفسهـا ، تابعنـا الحفر فعثرنا على أحجار ضخمة أخرى (Glacis) تغطي سفح التل المائل للمحافظة عليه (الصورة رقم ٣٢) ولا شك أن متابعة الحفر سوف تكشف لنـا عن مزيد من هذه الأحجار ومزيد من هـذه الأسوار ومزيد من هذه الأسود .

ومهما يكن من أمر فان هذا السور الكبير ، الذي يضم أحجاراً ضخمة ، بأسود نافرة متسلسلة ، وهذا الأسد الضخم المشار اليه ، وهذه القطع الكبيرة المنحوتة التي اكتشفت خلف الأسد في الايام الأخيرة من الحفريات ، وهذه الاجزاء الحجرية البازلتية المتناثرة من قوائم لحيوانات كبيره أو نقوش مختلفه ، التى عثر عليها في انحاء مختلفة من التل ، كلها تدل على أن هذه المدينة القديمة كان لها شأن كبير وانها لعبت دوراً هاماً في التاريخ وتمتعت بحضارة فائقة وبلغت مكانة مرموقة في المدنية ، ولا شك أن الحفريات المقبلة ستكشف لنا الشيء الكثير عن هذه الآثار الخبيئة ، وستكون لنا بمثابة وثائق وأدلة ثابتة تدعم الحقائق التاريخية وتزيل لنا كل غموض وابهام .

ولكن ماهو اسم المدينة في الأزمنة القديمة ، وهل ورد في النصوص التاريخية مايشير الى وجود مدينة هامه في هذه المنطقة بجوار نهر عفرين .

لقد لفت نظري العالم الأثري السيد دونان الى أنه من المحتمل أن يكون موقع عين دارا هو مدينة (كالني) Kalné أو (كالنو) Kalnu ، التي ورد ذكرها في التوراة القديم[1] وقد ذكرت على قدم المساواة مع بلدان وممالك أخرى هامة لها شأن في ذلك العهد كحماه وارپاد وكركميش ودمشق وغيرها .

وقد اعتبر العالم الأثري الكبير السيد دوسو[2] أن مدينة (كالني) هي قرية (كولان كوي) الحالية ، الواقعة في الجنوب الشرقي من أعزاز وتل رفعت (ارپاد) وذلك استناداً الى التشابه بين اللفظين دون ان يتمكن من تأكيد ذلك بدليل قاطع ، وقد ذكرت مدينة (كالني) في النصوص الاشوريه باسم مشابه هو (كولاني) Kulani أو (كنلنوا) Kunalwa[3] التى تنص على أن الاشوريين استولوا على هذه المدينة في عام ٧٣٨ ق . م

---

(1) Isaie, X. 9, Amos VI, 2.

(2) R. Dussaud : Topographie historique de la Syrie, Paris, 1927, p. 468.

(3) R. Dussaud; op. cit. p. 469.

Dhorme : Assyrie, les poys bibliques et l'Assyrie, Paris, 1911, p. 33.

الصورة رقم (١٧) ـ هاون نحاس مع ساحقات . السوية (ب)



الصورة رقم (١٨) ـ سوار وفنجانان من النحاس . السوية (ب)

الصورة رقم (١٩) ـ صلبان نحاسية وادوات اخرى . السوية (ب)

الصورة رقم (٢٠) ـ نقود نحاسية بيزنطية . السوية (ب)

الصورة رقم (٢١) – سُرج فخارية من الطراز الهلنستي والبيزنطي

الصورة رقم (٢٢) – نماذج فخارية من العهد الهلنستي . السوية (ج)

الصورة رقم (٢٣) ـ بعض النقود الفضية من العهد السلوقي



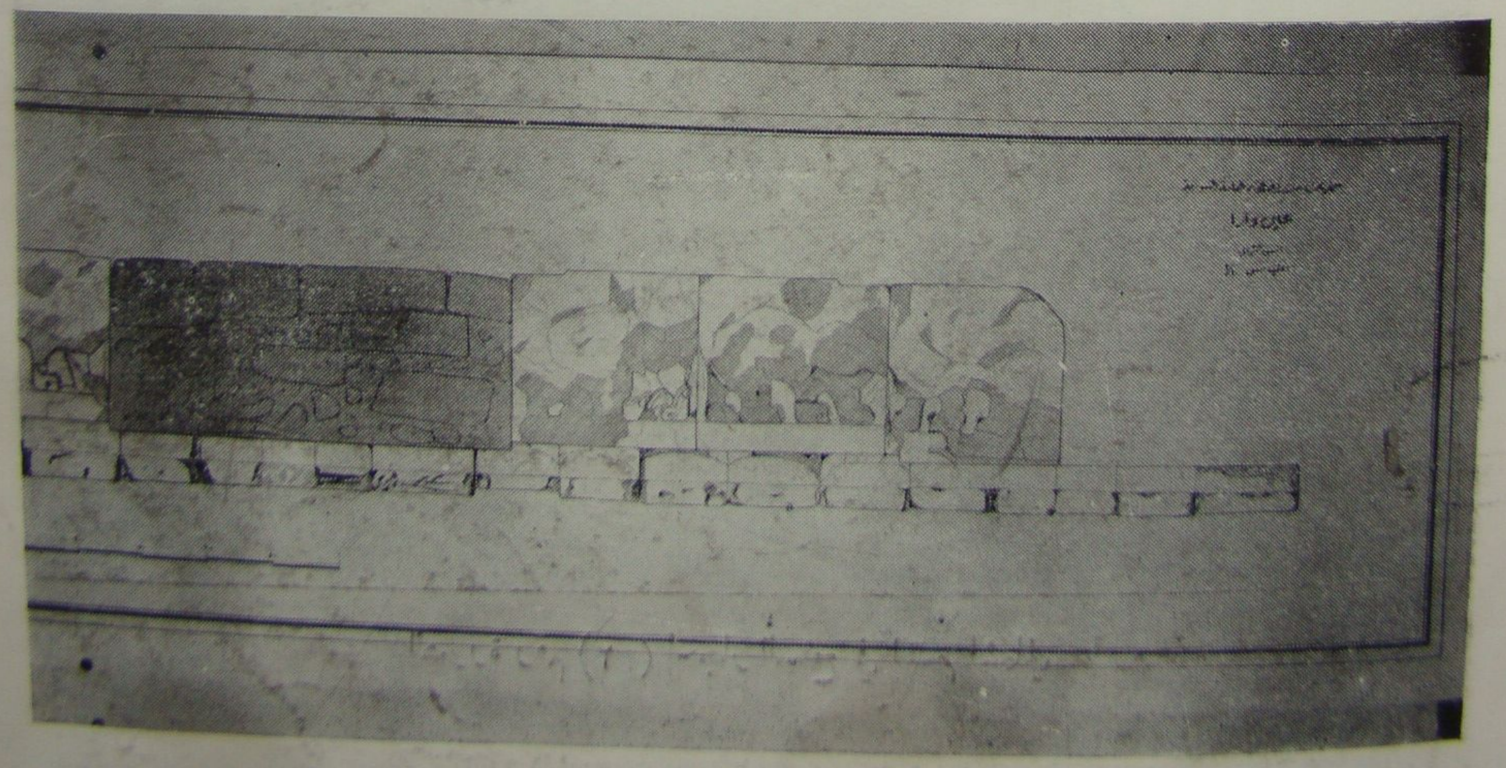
الصورة رقم (٢٤) ـ ختم من الحجر البلوري الابيض ، من العهد الفارسي . السوية (٥)

الصورة رقم (٢٥) - افريز حجري منقوش بالصفيرة الحثية

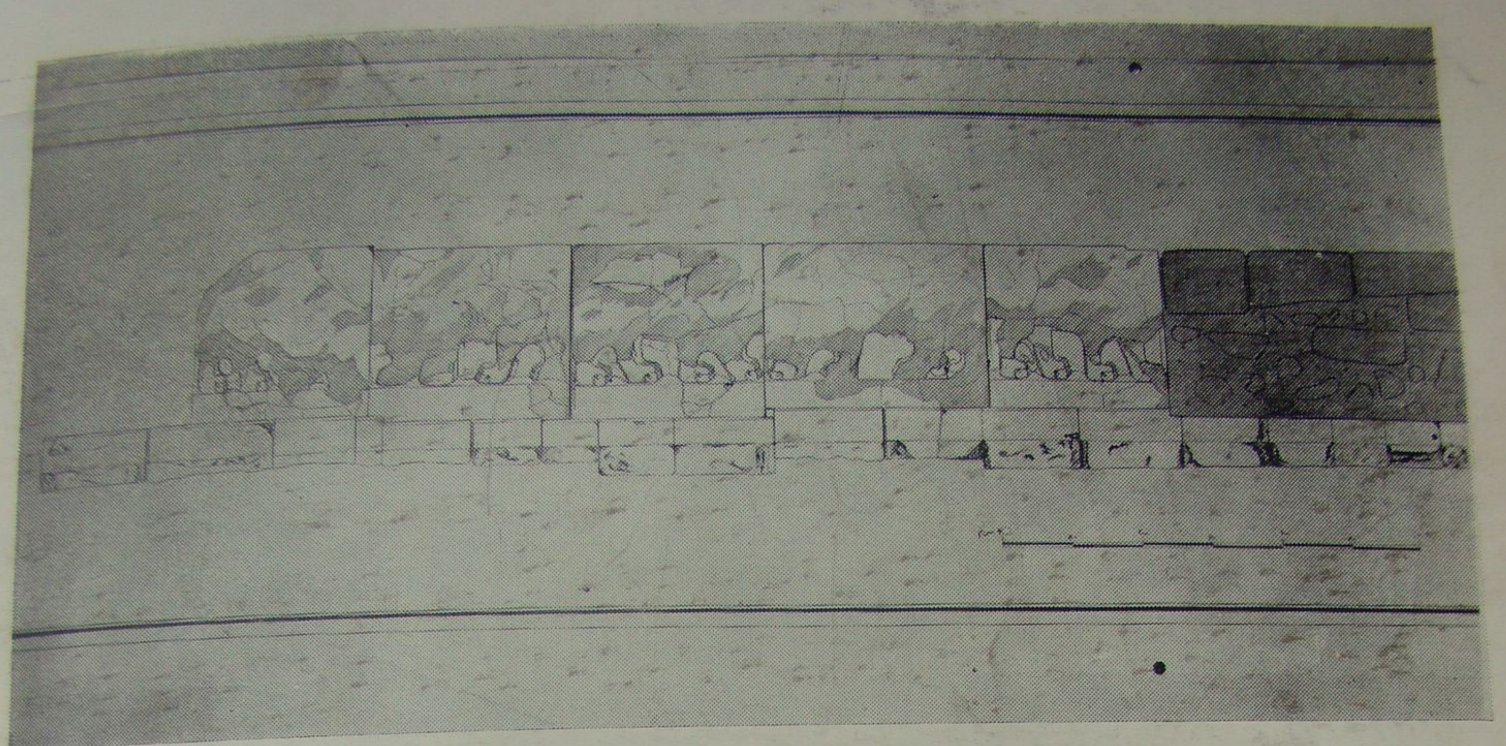
الصورة رقم (٢٦) ـ الاسد البازالتي الكبير

الصورة رقم (٢٧) ـ الاسد البازلتي الكبير

الصورة رقم (٢٩) ـ جزء من السور الشمالي



الصورة رقم (٣٠) - صورة مأخوذة لرسم السور الشمالي من التل (القسم الغربي)



الصورة رقم (٣١) – صورة مأخوذة لرسم السور الشمالي من التل (القسم الشرقي)

الصورة رقم (٣٢) احجار السفح في القسم الشمالي

وانها كانت عاصمة لمملكة (اونكي) Unqi التي تتألف من وادي نهر عفرين ومن الضفاف الشرقية لبحيرة انطاكيه .

ويظهر أن الاختلاف بين التسميه الاصلية (كُنَلْوا) Kunalwa في النصوص الاشوريه ، وبين التسميه العبريه (كالني) أو (كالنو) ، نتج عن تغيير في ترتيب الحرفين الصامتين (النون واللام) الواقعتين في وسط الكلمه ، قام به العبريون بسبب صعوبة نطقهم بها على الطريقه الاشوريه فحوروا الكلمة وقدموا حرف اللام على النون .

وتذكر النصوص التاريخية [١] أن أسور ناصر بال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق . م .) ، الملك الآشوري ، بعد أن عبر نهر الفرات عند مدينة كركميش (جرابلس حالياً) ، توجه مباشرة إلى أعزاز ، تاركا بلاد يقحان (ارباد) ، على يساره ، ونزل الى وادي ابري (عفرين حالياً) حتى وصل إلى مدينة (كُنَلْوا) Kunalwa حيث يقيم (كبارنا) أمير (باتين) . وتتابع هذه النصوص قولها بان هذا الملك الآشوري عبر النهر بعد ذلك ، وسار مع جيوشه بين جبال (ياراكي) وجبال (ياطوري) ، واجتاز بلاداً ثم عسكر على ضفاف نهر (سانغـورا) . وأغلب الظن بأن هذا الملك الآشوري ، بعد أن نزل الى وادي نهر عفرين ، عبر النهر عند مدينة (كُنَلْوا) ثم اتجه نحو الجنوب ولعله باتجاه شيزر .

هذا ويذهب العـالم الأثري (فينكلر) الى أن (كنلوا) تقع في سهل العمق بينما يشير العالم الأثري (كريسمان) الى أنها تقع في غربي حلب [٢] .

وقـد أشار ايلي سميث ، الذي قام بجولة في هذه المنطقة عـام ١٨٤٨ الى أن تل كنانا الحالي الواقع في وادي عفرين بين تل داوود وجلامه يمكن أن يكون الموقع المطلوب لمدينة (كُنَلوا) القديمة ، بسبب التقارب اللفظي وبسبب انطباقه على الموقع [٣] . أما (مارميه) Marmier فانه يرجح بأن تكون قرية جندارس هي مكان (كُنَلْوا) ، وتبعـه في ذلك

(1) Dussaud : op . cit . P. 240 .
Emil C. H, Kraeling : Aram and Israel (Colombia University) orient . studiès XIII New York, 1918, P. 66 .

(2) H. Winckler : Die Keilinschriften und da Alte. Tastament, Berlin 1903, 3e e'd, p. 40. 53-55.
A. Gressman : Al torien talische, Text, 1909, p. 108 .

(3) C . Ritter : Die Erkunde oder allegemeine Vergleichende Geographie . I . Berlin. 1854, 1855, p. 1647 .

سايس Sayce (١) . ومهما تكن الاجتهادات التي قام بها جميع علماء الآثار المار ذكرهم ، فان أحداً منهم لم يتمكن من دعم أقواله بحقائق ثابتة يمكن الركون اليها . وليس بعيداً أن تكشف لنا الحفريات القادمة عن الاسم القديم لتل عين دارا ، وليس بعيداً أن يكون هذا الاسم هو (كُنُلُوا) أو (كالني) ، لا لمجرد أن الاسم الحالي يقارب في لفظه ، الاسم القديم ، وهذا غير ضروري حتماً لأن أسماء المدن قد تكون عرضة للتغيير ، بل لأن موقع عين دارا يتفق وما أشارت اليه النصوص القديمة ، ولأن الحفريات كشفت لنا عن مدينة هامة كبرى تطابق في عهدها ، كما دلت على ذلك آثارها ، العهد الذي تتحدث عنه هذه النصوص التاريخية ، ولأن التاريخ لم يحدثنا عن اسم مدينة ثانية كبرى في هذه المنطقة وفي هذا العهد غير مدينة (كُنُلُوا) أو (كالني) . فهل تحقق الحفريات المقبلة في عين دارا ما ذهبنا اليه ؟ .

فيصل الصيرفي

مدير آثار ومتاحف المنطقة الشمالية

(1) G . Marmier : Les routes de l'Amanus, p, 7 .